Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V :11, N :01 – 20 May 2021

سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 11، العدد 01 – 20 ماي 2021

المرأة الشاوية ذاكرة الأوراس

The Chaoui woman is the memory of Aures

بن سهلة يمينة*

جامعة عباس لغرور،خنشلة/ الجزائر (bensahla_a@yahoo.fr)

تاريخ الاستلام : 2021/01/18 ؛ تاريخ القبول : 2021/05/10 ؛ تاريخ النشر : 20 /2021/05

الملخص

إن اهتمامنا بدراسة المرأة الشاوية راجع إلى استمرارية ميولنا الفلسفي من خلال جدلية (الروح، والجسد) ما دفعنا إلى ضرورة توسيع مجال البحث، والتأمل عبر محاولة فهم المرأة في حقل الأنتروبولوجيا الحضرية التي تجمع بين الأنا/الساكن، والفضاء الحضري الذي تنتمي إليه ضمن سيرورة التغير الاجتماعي في منطقة الأوراس ضمن ثنائية(الثابت، والمتغير)، كما تثيرنا رمزية تسمية المرأة في الثقافة الشعبية الشاوية"ببنت البارود"التي تعكس إعادة إنتاج التصور الثقافي الشاوي الذي يجسد لنا وحدة الحس المشترك للمجتمع في منطقة الأوراس، بهدف الحفاظ على النظام الاجتماعي في الفضاء الحضري الذي لا يستلزم تعديل البنية الاجتماعية داخل حقل الصراعات الرمزية بين الثقافات المسيطرة الأصل، وكيف تؤثر البيئة في بناء المخيال الجمعي عبر سلطة اللوغوس لبنت البارود التي تعمل على توّريث المجتمع الكلي في منطقة الأوراس، والتأسّيس لذاكرة الهابيتوس الشاوي عبر ذاكرة جسدها في الفضاء الحضري.

الكلمات المفتاحية: المرأة، البنية، الهابيتوس، الأوراس، الفضاء الحضري، الثابت، المتغير، الجسد، اللوغوس

Abstract

Our interest in the study of Chaoui women is due to the continuity of our philosophical tendencies through the dialectic of (soul and body), which prompted us to expand the field of research and meditation by trying to understand women in the field of urban anthropology that combines the ego / the inhabitant, and the urban space to which she belongs within the process of change Socialism in the Aures region within the binary (constant and variable), as well as the symbolism of naming women in Shawi folk culture "Bint al-Baroud", which reflects the reproduction of the Shawi cultural perception that embodies for us the common sense of society in the Aures region, with the aim of preserving the social order in space. Urban, which does not require modifying the social structure within the field of symbolic conflicts between the dominant cultures of origin, and how the environment affects the building of the collective imagination through the authority of the logos of Bint al-Baroud, which works on the inheritance of the total community in the Aures region, and the foundation of the memory of the Habitus of the Shawi through the memory of her body in the urban space.

Key words: woman, structure, habitus, auras, urban space, fixed, variable, body, logos

* **الباحث المُرسل:**

1.مقدمة:

تعرف منطقة الأوراس أو بلاد الشاوية بموروثها الثقافي الغني، وبالعادات، والتقاليد المتنوعة التي غالبا ما تشكل المادة الخام لعدة دراسات سوسيولوجية، وتاريخية، وأنتروبولوجية...حيث تشمل اللباس الشاوي الخاص بالمرأة الشاوية، واللباس التقليدي للرجل الشاوي، الحلي التقليدية، المطبخ الأوراسي، الفن الشاوي، العرس الشاوي أين تقوم المرأة الشاوية بدور المنشط في الحفلات بالزغاريد، والرقص، ويكفي حضورها ليأتي الرجال بالعجائب في الفروسية أثناء السباق، ودقة إطلاق البارود، وسرعته لتتصدره المرأة الشاوية..." (سعد، 1998، ص 445)، كيف لا وهي الملقبة ببنت البارود...

فلا يمكن فهم حقيقة المجتمعات إلاّ من خلال معرفة حال المرأة، و حقيقة تموقعها في حقل الثقافة الشعبية، تلك هي قاعدة البحث في الدراسات السوسيولوجية، والفلسفية، والأنتروبولوجيا الحضرية التي تقوم على الرجوع إلى دراسة المجتمعات المتوحشة أو البدائية كما يسميها برونيسلاف كاسبر مالينوفسكي Bronislaw Kaspar Malinowski(1884-1942) أو المجتمعات البدوية حسب ابن خلدون، بهدف فهم صيرورة تطور المجتمعات الحضرية من خلال البحث جدلية(الثابت، والمتغير)ما يعني أنه لا يمكن أن نقف على حقيقة حالنا في أيّ شأن من شئوننا إلاّ بعد إعادة استقراء الحوادث الماضية، ومحاولة الإلمام بالأدوار التي تقلبت فيها.

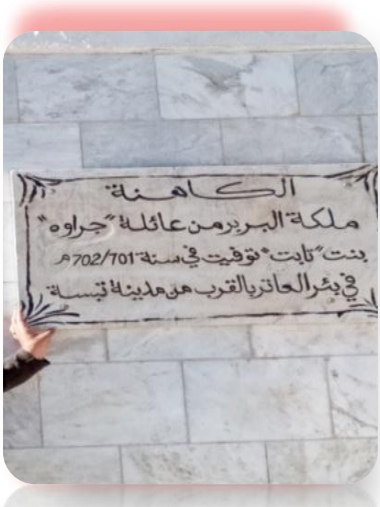

تعكس رمزية تسمية المرأة في الثقافة الشعبية الشاوية "ببنت البارود"إعادة إنتاج التصور الثقافي الشاوي، ما يجسد لنا وحدة الحس المشترك لمجتمع الأوراس بهدف الحفاظ على النظام الاجتماعي في المجتمعات الحضرية المعاصرة الذي لا يستلزم تعديل البنية الاجتماعية داخل حقل الصراعات الرمزية بين الثقافات المسيطرة الأصل، والثقافات الغربية التي يسميها محمد عابد الجابري باللامعقول (الجابري، 2011، ص 135) **، لأن الثقافة حسب بيار بورديو Pierre Bourdieuهي رأس المال المنتج في حقل خصوصي حسب نظرية الممارسة التي تقوم على ثلاثية"الحقلField ، رأس المالCapital ، الهابيتوس** (حميد، 2014)**Habitus "حيث قال" يمكن للصراعات الرمزية المتعلقة بإدراك العالم الاجتماعي أن تأخذ شكلين مختلفين، من الناحية الموضوعية، أن نسلك من خلال أفعال للتمثل الفردي أو الجماعية التي تهدف إلى ترسيخ بعض الحقائق أما على المستوى الفردي حيث يتم ذلك من خلال إستراتيجيات التعريف بالأنا... بهدف إظهار صورتنا، ومكانتنا في الفضاء الاجتماعي** (.BOURDIEU, 1987, p. 159)

يجعل ذلك المرأة الشاوية حاضرة بقوة في الثقافة، والمخيال الجمعي الجزائري منذ قبل الميلاد إلى يومنا هذا، وقد برهن لنا التاريخ على ذلك من خلال "قصة الكاهنة"، أو دهيةDAHIA التي جسدت القيادة، والسلطة في جبال الأوراس، إنها "قاهرة الجيوش"كما يلقبها التاريخ، حيث نجد قصرها، وتمثال لها في بلدية بغاي ولاية خنشلة، وهي خليفة كسيلة الأمازيغي في قيادة أمازيغ شمال إفريقيا لخمسة وثلاثين سنة، حيث قادت معارك ضد الرومان، والعرب، والبيزنطيين لاستعادة

أراضي الأمازيغ، فكسبت احترام الجميع، وذكرها المؤرّخون العرب بشكلٍ يُبيّن احترامهم لها.
إنها (دهيةDAHIA أو ديهية) التي نجدها تتجسد في (بنت البارود) التي عرّفتها الثقافة، والتاريخ بشجاعتها، وحملها السلاح بالرغم من أنوثتها تحديا لجميع الظروف القاسية، وصعودها إلى الجبل، والعلم بجميع خبايا، وأسرار جبال الأوراس الشامخة، هكذا نجدها اليوم تتجسد إنيتها ضمن ثلاثية(الأم+ الجبل+ الوطن)، ولا تزال على الرغم من السلطة الذكورية، والعشائرية التي تتصدر النسق الاجتماعي لبنية المجتمع الجزائري عموما، والشاوي خاصة، فهي تحاول دائما فرض وجودها كذات لها إنيتها المستقلة، لكن للأسف التاريخ لا يزال مجحفا في حق هؤلاء النسوة جميعهنّ.

إنها المرأة الشاوية التي لا تزال تؤسّس للهوية الثقافية من خلال إعادة إنتاج "الهابيتوس الشاوي" ضمن صيرورة كرونولوجية عبر ذاكرة جسدها، وروحها، عاداتها، وتقاليدها... ما يجعلها كالمتحف، أو الموسوعة الحية التي تجسد لنا الأنا الشاوية، أو هابيتوس الأوراس، فإذا تأملت المرأة الشاوية في فضائها الأصلي الريفي تدرك قوة، وصرامة جبال الأوراس الحاضر فيها من خلال اللهجة الشاوية التي تحتل الصدارة كونها أول دلالة تجعلك تدرك أنك حقا انتقلت إلى فضاء جديد من جميع النواحي المادية، والمعنوية، الثقافية، الطبيعة، المناخ...

أما جسدها فهو قاموس من الدلالات، والرموز التي تحاول إخبارنا عن أساطير، وألغاز الثقافة الشعبية لجبال الأوراس من خلال الوشم البارز على عدة مناطق من جسدها كالعنق، الصدر، اليدين، القدمين، وخاصة الوجه، واليدين، وقد ارتبط الوشم بالجسد كارتباط الروح بالجسد أمام إعادة إنتاج الطبيعة على الجسد، بينما روحها تجعلنا نعيش

مقولة ابن خلدون"الإنسان ابن بيئته"فهي قوية، وشامخة شموخ الجبل مستعدة لتحدي جميع الظروف، والتغيرات دون استثناء... كيف لا و هي الملقبة ببنت البارود. حسب ما توضحه لنا الصور التالية:

الصورة الأولى لفتاة شاوية باللباس التقليدي(الملحفة الشاوية الأصيلة ذات اللونين الأبيض، والأسود) اللباس التقليدي الأول الذي يميز المرأة الأوراسية، وتعكس لنا التراث الشاوي، نجدها مزينة بالخطوط الصفراء، والزرقاء التي ترمز للحرية، وفك القيود، مكونة من قطعتين الجزء العلوي تقول مخبرتي "لحاف مثل خيمار كبير يوضع على الظهر و يحكم بالخلالة" كما هو مبين في الصورة الثانية.

لكن بسبب التأثر بالحضارات الغربية، تعددت ألوان الملحفة الشاوية، وأدخلت عليها بعض تعديلات تعكس روح الحداثة، والعصرنة، كما هو واضح في الصورة الثانية، على الرغم من ذلك إلاّ أن الملحفة الشاوية أصبحت اليوم تنافس الألبسة العصرية في الصالونات الدولية، حيث يشترط معها الحلي الفضية كالجبين التي توضع على الرأس، والخلخال في الرجلين، الخلالة: هو الحلي الفضي الذي تمسك به المرأة طرفي الملحفة من الكتف، وأعلى الصدر، أما البزيم ويوضع في معصم المرأة، المشرف تتزين به في الأذن، وهي من أهم الحلي التقليدية (https://youtu.be/A5jF5eMbe60, 2021)، كما هو واضح في الصور الثالثة.

أما رمزية(المكحلة) التي تحملها الفتاة في الصورة الأولى بكل اعتزاز، هو ما وضحته لي مخبرتي الأولى من خلال قولها " ترمز المكحلة إلى الشرف، والشجاعة، ووحدة الانتماء القبلي(العرش)، لأن السلاح يكون موروث ثقافي أساسي لأبناء العرش الواحد يورّث أبا عن جد" (htt://elauresnews.com، 2021) .

الصورة الرابعة (htt://elauresnews.com، 2020): **لرئيسة جمعية "دور صاف "لإحياء العادات، والتقاليد، والتراث الشاوي، الأمازيغي للأوراس، تضع الوشم على الوجه، بالإضافة إلى حلي الفضة التقليدي باعتبارهما أقصى دلالات الجمال الشاوي، وقد عرّفه الروائي، وعالم الاجتماع عبد الكبير الخطيبي في كتابه (الاسم العربي المجروح) فقال"الوشم هو كتابة بالنقط هذه هي التسمية التي استعملها العرب أحيانا للدليل على الوشم"** (الخطيبي، 2009، ص 58)

لكن دراستنا لأسباب الوشم أثبتت رأيين مختلفين من خلال الثقافة الشعبية الشاوية فمنهم من يقول أنه شرط أساسي من شروط الزينة، والجمال في منطقة الأوراس، بينما يرى البعض الآخر أنه بهدف الحفاظ على شرف المرأة الشاوية خلال فترة الاحتلال الفرنسي، وهو ما أكدته لي مخبرتي الأولى+ من خلال قولها"المعروف في ثقافتنا، وما يحكيه أجدادنا أن وشم جسد المرأة، والفتاة هدفه تجنب أخذها من قبل المستعمر الفرنسي، اختصابها فنقوم بتشويه جسدها عن طريق الوشم" و هو ما توضحه لنا صورة لجدة مخبرتي أين نلاحظ الوشم على الجبهة، وهو ما أكدته لي مخبرتي الشاوية الثانية++ فقد ذكرت على لسان جدتها أنها "وضعت الوشم و هي تبلغ من العمر 16 سنة بطلب من أبي لخوفه من الاستعمار الفرنسي حماية لي شرفي"و هذه الصورة توضح لنا الوشم الجدة على اليد.

يجعل ذلك الوشم يخضع لمعرفة تحتاج لتفكيك دلالاتها، وتأويل رموزها التي لا تزال تتحدى نظريات

المعرفة لأن"الوشم يؤسّس للوجود"(الخطيبي،2009 ، ص57)، ما يعني أن الوشم على الجسد ليس مجرد سلاح لحماية شرف العشيرة أو رسومات للزينة، بل يتعدى ذلك التصور الجمالي إلى الثقافي، والاجتماعي، لأنه يرتبط بالذاكرة الأمازيغية، والشاوية منذ قرون ما يجعله يؤسّس للهوية الثقافية لجبال الأوراس التي تعيد إنتاج الطبيعة، وتجسيد التاريخ، والحضارة عبر ذاكرة جسدها أين ينعكس الجزء في الكل.

حيث تعتبر منطقة الأوراس، والقبائل أكثر المناطق التي ينتشر فيها الوشم على الجسد في الجزائر، لكن نجده حاضر بامتياز في المجتمع القروي، أو الريفي أكثر منه في المجتمع الحضري، ما يعله حقل الدلالات، وتوثيق القصص والأساطير لأن كل وشم له لحظته، وحكايته حسب ما يوضحه لنا الفيديو"بالوشم الأمازيغي–الشاوي– معانيه ودلالاته" فقد اخترنا بعض الأنواع من الوشم ودلالاتها حسب ما توضحه لنا الصور التالية (https://youtu.be/pOU_ppoBMJg،(2020 :

تمثل لنا هذه الصورة الأهمية الدلالية للوشم على الجبهة التي تعكس قوة الشخصية لبنت البارود، و شموخها كالجبل، و هو تقريبا نفس الوشم الموجود على جبهة جدة مخبرتي الأولى ما يؤكد لنا استمرارية توريث الهابيتوس الشاوي، والتأسيس للذاكرة جبال الأوراس عبر جسدها، كما تعكس دلالة الوشم الموجود على يد جدة مخبرتي الثانية الحرية، والخصوبة، والأسرة حسب ما توضحه لنا الصورة الثانية.

يجعلنا ذلك نستخلص من خلال ما سلف ذكره أن المرأة الشاوية لا تزال تؤسّس للهوية الثقافية من خلال إنيتها كونها جزء من النسق الكلي، لذا نجدها تعيد إنتاج الهابيتوس الشاوي ضمن صيرورة كرونولوجية عبر ذاكرة جسدها من خلال الوشم، وروحها، عاداتها، وتقاليدها...

لكن صيرورة التغيرات، والتحولات الحضارية الراهنة التي فرضتها ثورة الحضارة على مجتمع الأوراس شكلت شرخ أو

انشطار ثقافي أمام بنية، وطبيعة النسق الثقافي الشاوي بين ماضي" الأنا "وحاضرها في الفضاء الحضري بسبب خلخلة بنية المعاني، والدلالات التي تحملها" الأنا الشاوية"أمام الآخر المحلي أو الغربي.

إن حتمية انتماء بنت البارود للفضاء الحضري المفتوح جعلها تعيش اليوم اختراق الهابيتوس الشاوي بالغصب أمام سلطة رأس المال الرمزي للمجتمع الأوراسي القبلي، والعشائري الذي يقدم نفسه باعتباره الأصل، بينما الباقي مجرد عوارض، جعل ذلك المرأة الشاوية تعيش الصراع بين الثابت، والمتغير أمام توريثها للهابيتوس الشاوي، لكن ذلك لا يعني بالضرورة تكسير نسق العصبية المتجانس، وبنية المجتمعات الريفية القريبة من الطبيعة، لأنه براديغم لبنية ثابتة تقوض الزمان، والمكان تعكس هوية الإنسان البربري الأمازيغي داخل، وخارج مجموعته النسقية في ذات الوقت، ما يعني أن الانتقال الفيزيقي للمرأة الشاوية توجها نحو الحضرية لا يعني بالضرورة تغيير أو تجاوز الولاء للعصبية العروشية لأن هذا النسق يشكل الجزء الأصل لهوية المجتمع الشاوي.

ما يفرض على الأنا الشاوية بصفة عامة، والمرأة (بنت البارود)خصوصا كونها قاموس الشرق، وبراديغم نقل، وتوريث الهابيتوس الشاوي إعادة إنتاج الأنا الشاوية الشاملة (المتعددة) التي تقبل جميع الاختلافات المحلية، والخارجية في حقل القرية الكونية، ما يمنحها القدرة على العيش بسلام أمام جميع التغيرات، والاختلافات، والهويات...

قائمة المصادر والمراجع:

.BOURDIEU, P. (1987). *CHOSES DITES ED MINUIT.* PARIS.

htt://elauresnews.com. (2020). Récupéré sur htt://elauresnews.com

htt://elauresnews.com. (2021). Récupéré sur htt://elauresnews.com

https://youtu.be/A5jF5eMbe60. (2021). Récupéré sur https://youtu.be/A5jF5eMbe60

https://youtu.be/pOU_ppoBMJg. (2020). Récupéré sur https://youtu.be/pOU_ppoBMJg

الخطيبي ,ع .ا .(2009) .*الاسم العربي المجروح*) .ت .م .بنيس (.Éd ,لبنان :منشورات الجمل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

جاسم محمد أفرا ح، سعد محمد علي حميد .(2014) .الهابتوس وأشكال رأس المال في فكر بيار بورديو،، .*مجلة الأستاذ، المجلد الثاني*) العدد.(21

سعد ,ا .أ .(1998) .*تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الخامس، 1830-1954.* بيروت ، لبنان :دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.1

محمد عابد الجابري .(2011) .*تكوين العقل العربي* .بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية، جماعة الدراسات والتاريخ والمجتمع.

تعليقات إضافية:

+مخبرتي الأولى، طالبة سنة ثانية ماستر، تخصص فلسفة، جامعة عباس لغرور، خنشلة

++مخبرتي الثانية، طالبة سنة ثانية ليسانس، نخصص فلسفة، جامعة عباس لغرور، خنشلة